المجاز

(تابع لما في الجزء السابق)

وقد يؤخذ كلٌّ من الاستعارة والمجاز المرسل من طريق الاشتقاق وذلك بان يكون اصل اللفظة حقيقةً وما يُشتقّ منها مجازًا . فمن امثلتهِ في الاستعارة قولهم نَملت يدهُ اذا خَدِرت فشعر فيها بما يشبه دبيب النمل وهذا مما اشتُقَّ فيهِ المصدر من الجامد على ما سبقت الاشارة اليهِ في بحث الاشتقاق وسيمرّ بك امثلةٌ اخرى منهُ . ومثلهُ قولهم نَمَل بين القوم وانمل بينهم اي نمَّ وسعى وهو من دبيب النمل ايضاً شُبّهَ سعيهُ بحركة النمل في الخفاء على حدّ قولهم دبَّت عقاربهُ . ويقال ايضاً تنمَّل القوم اذا تحركوا ودخل بعضهم في بعض فاشبهت حركتهم حركة النمل وهذا كما يقال انتغشت الدار بأهلها ودارٌ تنتغش صبياناً أُخذ من انتغاش الدود والدَبَى اي الجراد الصغير ونحو ذلك اذا تحرك في مكانهِ وتداخل بعضهُ في بعض. ومن ذلك قولهم بَلَج الرجل بكسر اللام اذا اشرق وجههُ وتهلل فرحاً أُخذ من بَلَجَ الصبحُ بالفتح اذا اسفر واضاء . وفي مذهبهِ قولهم صَبُح الرجل بالضم صَباحةً اذا كان وُضّاءً جميل الطلعة . وجاء ايضاً صَبِحَ بالكسر اذا كان لون شعرهِ مُشرَباً حمرةً وكلاهما من الصبح ومأخذهما ظاهر. وقولهم ضَلِع السيف والعودُ وغيرهُ اذا اعوجَّ واشتقاقهُ من الضلع على التشبيه . ومثلهُ قولهم تقوَّس الشيء اذا انحنى وشيخٌ أقوَس على أفعل اي منحني الظهر وهو من القوس . وقولهم اغتمد الليلَ اذا دخل فيهِ وهو من غمد السيف كأنهُ جعل الليل غمداً لنفسهِ . ومن هذا قولهم تغمَّد اللهُ فلاناً

برحمتهِ اي غمرهُ بها وتغمدت فلاناً بحلمي اي سترت ما كان منهُ . ويقال بنـانٌ طَفَلٌ بالفتح أي رخص وقد طَفُلَ بالضمّ طفولةً وطَفالةً ومأخذهُ من الطِفل بالكسر وهو المولود

ومن امثلتهِ في المجاز المرسل قولهم بَسَرهُ أي أعجلهُ وبَسَر النخلة لقحها قبل اوانها والدَين تقاضاهُ قبل محلّهِ ومن هذا قيل البُسْر بالضمّ للتمر يُقطَف قبل الإرطاب . وقولهم اختمر العجين واللبن وغيرهُ اذا ادرك ثم اشتُقّت الخمر من ذلك لاختمارها وقيل أخذوها من المخامرة لانها تخامر العقل وعلى الوجهين فهي مما ذُكر . وقولهم عَطَف الشيء أي حناهُ ثم قيل العِطفة بالكسر لاطراف الكرم المتعلقة منهُ وهي كالاسلاك تمتدّ من اطراف قُضبهِ وتلتوي على ما تُعرَّش عليهِ . وفي مأخذها العَطَفة بالتحريك وهي نبتٌ يتلوى على الشجر لا ورق لهُ ولا أفنان . ومن هذا القبيل اشتقاقهم الحيَّة من التحوّي وهو الانقباض والتجمع لانها تحوي على نفسها . وأخذهم النجم من نَجَم الشيء أي ظهر . والكساء وهو نحو العباءة من صوف من الكُسوة وهي مطلق اللباس . والكُمّة لما يُلبَس على الرأس من كَمَّ الشيءَ اذا غطّاهُ . والرُطْب بضمٍّ فسكون وهو العُشب الاخضر من الرطوبة وكل ذلك من استعمال العامّ في الخاصّ كما ترى

وقد يتفرع عن المجاز مجازٌ آخر اما باستعمال اللفظ نفسهِ او باشتقاق لفظٍ آخر منهُ على نحو ما تقدم وربما تعدد المجاز حتى يخفى وجه الاتصال بين اواخر سلسلة المعاني والمعنى الاصلي . ولا بأس ان نمثل على ذلك بمادّةٍ من موادّ اللغة نستقري فيها الوجوه التي يتقلب عليها المعنى الواحد بياناً لتصرُّفهم

في نقل الالفاظ واشتقاق بعضها من بعض ونختار لذلك مادّة « ك ف ف » لسعة التصرف فيها ووضوح المآخذ . فان اصل المعنى في هذه المادّة الكفّ وهي الجارحة المعروفة والكلمة مشتركة بين العربية وغيرها من اللغات الساميّة وأصل مأخذها في العبرانية والسريانية من معنى الانحناء والانعطاف . ثم اشتقوا منها قولهم كفَّهُ عن الامر اذا منعهُ كانهُ دفعهُ بكفّهِ فنقلوا معنى الكفّ الى لازمها وهو من المجاز المرسل . وقيل من هذا كفّ هو عن الامر اذا امتنع فنُقِل الفعل من التعدّي الى اللزوم وهو من المجاز المرسل ايضاً من قبيل ما سبقهُ . ثم قيل استكفّ السائل وتكفَّف اذا طلب بكفّهِ ويقال ايضاً استكفَّ بالصدقة اذا مدّ يدهُ بها يعطيها فضُمّن الأوّل معنى الاستعطآء والثاني معنى الاعطآء وكلاهما مما ذُكر . ومن هذا القبيل قولهم استكففت الشيء اذا استوضحتهُ بان تضع كفك على حاجبك كمن يستظلّ من الشمس فاستُعمل هنا في معنًى آخر من لوازم الكفّ . ومن معنى كفّ عن الامر قيل كفّ بصرهُ ويقال كُفَّ ايضاً على المجهول وهو من المجاز المرسل من قبيل استعمال العامّ في الخاصّ . وفي مثل مأخذهِ قولهم عندهُ كَفافٌ من الرزق بالفتح اي ما كفّ عن الناس واغنى . ثم قيل من معنى الكف للجارحة كِفّة الميزان وكِفّة المقلاع بالكسر لشبَهها بالكفّ في الهيئة وهي من الاستعارة . ثم استعيرت الكِفّة لعود الدُفّ لشبههِ بكِفّة الميزان في الاستدارة والاحاطة ومثلها الكِفاف بالكسر وهو ما استدار بالشيء . والكِفّة ايضاً النُقرة المستديرة يجتمع فيها المآء وهي مما ذُكر . ومن معنى الاستدارة قيل كِفّة الصائد

بالكسر والضمّ وهي الحبالة يجعلها كالطوق . ومثلها كُفّة اللثَة بالضم وهي ما انحدر منها على اصول الاسنان وكُفّة القميص وهي ما استدار حول الذيل وكذلك كُفّة الدرع وهي أسفلها . ثم قيل من هذا المعنى استكفّوا حولهُ لذا احاطوا بهِ ينظرون اليهِ واستكفّت الحيّة اذا ترحّت اي استدارت كهيئة الرَحَى . ومن كُفّة القميص قيل كُفّة الثوب وغيرهِ وهي حاشيتهُ . ومن معنى الحاشية قيل كُفّة الشيء بمعنى حرفهِ وكِفاف السيف بالكسر بمعنى غرارهِ اي حدّهِ وكل ذلك على التشبيه . ثم قيل من معنى الحاشية كفّ القميص اذا خاط حاشيتهُ . ومن معنى الحرف كفّ الاناء اذا ملأهُ ملأً مفرطاً كأن المعنى ملأهُ حتى بلغ كفّتهُ . واذا تتبعت سائر المعاني الواردة في هذه المادّة وجدتها ترجع الى معنى الكفّ او شيء من المجاز المأخوذ عنها بحيث تراها سلسلةً متصلةً من اول المادة الى آخرها . وكذا تجد اكثر موادّ اللغة اذا تفقدتها ما خلا الفاظاً ندّت بنفسها وانفردت عن سائر معاني المادة واكثر ما تكون هذه الالفاظ من وضعٍ آخر اما من لغة القبيلة نفسها كأن يتعدد عندها وضع اللفظ الواحد باعتباراتٍ مختلفة وهو قليل واما من لغة قبيلةٍ اخرى دخلت فيها بسبب اختلاط القبائل . واذا جاوزت هذه الالفاظ ورجعت الى الاصل الذي ذكرناهُ وهو الذي عليهِ معظَم كلامهم ظهرت لك الحكمة في وضع هذه اللغة الشريفة وما هي عليهِ من قبول الاتساع بحيث انهُ اذا تولاّها قلبٌ عليمٌ باسرار اللفظ وذهنٌ بصير بكيفية اتصال المعاني لم تضق بمطالب اهلها ولم تعجز عن اللحاق بسائر لغات العصر

(ستأتي البقية)